دور الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية
(دراسة تحليلية لعدد من الأمثال الشعبية اليمنية)

عبد الله قاسم علي الظبياني
قسم علم الاجتماع - كلية الآداب-جامعة صنعاء
DOI: https://doi.org/10.56807/buj.v3i2.197

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التعريف بهذا اللون من التراث الثقافي وإبرازه للأجيال, وربط الإنسان اليمني بجذوره الثقافية الأصيلة, والسعي نحو ترسيخ الهُوية الوطنية وصيانتها والمحافظة عليها والعمل على إحياء هذا اللون الثقافي والتمسك به ومعايشته, والدعوة إلى توثيقه في التقنيات الحديثة, في محاولةٍ لإيجاد رؤية لكيفية توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية, وتكمن أسباب اختيار الموضوع في التراجع الملحوظ لبعض عناصر الثقافة الشعبية, حيث صار ينظر إليها من قبل البعض على أنها صورة من صور الرجعية والتخلف الثقافي, وتكمن أهمية هذا البحث في فتحه الباب أمام الدارسين والمهتمين للبحث حول قضايا الثقافة الشعبية اليمنية والهوية الوطنية, اعتمد هذا البحث في جمع البيانات على المصادر النظرية المكتبية, بالإضافة إلى ذاكرة الباحث واستخدام التحليل منهجاً وأداةً, ومن أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث وضع رؤية لكيفية توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية, وقد اقترح هذا البحث بعض المقترحات التي من شأنها أن تجعل الثقافة الشعبية تؤدي دورها في تشكيل الشخصية والهوية الوطنية والحفاظ عليها, وقدمت عدداً من المقترحات والتوصيات منها دمج عدد من الأمثال الشعبية ضمن المقررات الدراسية بشكل يتناسب مع المستويات العمرية والمراحل الدراسية المختلفة.

Abstract

This study aims to introduce popular proverbs as an element of popular culture, to highlight them for generations, to link the Yemeni human being with his original cultural roots, to strive to consolidate, maintain and preserve the national identity, to work to revive this cultural pattern and adhere to it, and call for documenting it by using modern technologies. In an attempt to find a vision of how popular culture can be used to preserve the national identity.

The reasons for choosing the subject lie in the noticeable retreat of some elements of popular culture, including popular proverbs, as popular culture is perceived by some people as a form of reactionary and cultural backwardness.

The importance of this research stems from the fact that it opens the way for scholars and interested people to research and investigate the issues related to Yemeni popular culture and national identity. The study adopted the analysis as an approach and a tool.

Among the most important findings of the study is the development of a vision on how to employ popular culture in preserving the national identity.

The study suggested a number of proposals that would enable the popular culture to play its role in preserving the national identity, and provided a number of recommendations including the integration of a number of popular proverbs within the academic curriculum in a manner commensurate with the age levels and the different schooling stages.

أولاً: المقدمة والإجراءات المنهجية

يشهد المجتمع اليمني شيئاً من التراجع على مستوى تداول الأمثال الشعبية، ما ينذر بانحسار هذا اللون الثقافي كمكون أساسي من مكونات الثقافة الشعبية اليمنية، مما قد يؤدي إلى تهديد الهوية الوطنية في مقابل انتشار الكونية الثقافية، أو ما بات يعرف بالعولمة الثقافية. ويهدف هذا البحث إلى التعريف بهذا اللون من التراث الثقافي وإبرازه للأجيال, في محاولة لربط الإنسان اليمني بجذوره الثقافية الأصيلة في مواجهة الثقافات المتسللة عبر قنوات الاتصال المختلفة, والسعي نحو محاولة ترسيخ الهُوية الوطنية والمحافظة عليها من خلال الحث على إحياء هذا اللون الثقافي والتمسك بالتراث الشعبي ومعايشته, كما يهدف هذا البحث إلى صيانة التراث الشعبي اليمني والمحافظة عليه والدعوة إلى توثيقه في التقنيات الحديثة, كما يهدف إلى محاولة وضع تصور أو رؤية لكيفية توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية, وتكمن أسباب اختيار الموضوع في التراجع و الإهمال الملحوظ لهذا اللون من الثقافة الشعبية, حيث صار ينظر إليها من قبل البعض على أنها صورة من صور الرجعية والتخلف الثقافي, وتكمن أهمية هذا البحث فيما سوف يقدمه من نتائج علمية وتوصيات ومقترحات لرفد المكتبة العلمية, وفي فتحها الباب أما الدارسين والمهتمين بالبحث حول قضايا الثقافة الشعبية والهوية الوطنية اليمنية, أما على مستوى الفرد والمجتمع فتكمن أهميته في سعيه نحو صقل شخصية الفرد وإعادته إلى حضن ثقافته الأصيلة و تسجيل وتدوين الأمثال الشعبية حفاظاً على شخصية المجتمع وهويته, وقد اعتمد هذا البحث في جمع البيانات على المصادر النظرية المكتبية, بالإضافة إلى ذاكرة الباحث كونه واحداً من أفراد المجتمع.

وقد اشتمل هذا البحث على مقدمة وأربعة محاور بالإضافة إلى النتائج والمقترحات والتوصيات, استعرض الباحث في المقدمة مشكلة البحث وإجراءاته المنهجية, وتناول في المحور الأول خصائص المثل الشعبي, وأهميته, وأهمية الحفظ والتوثيق للأمثال الشعبية, وفي المحور الثاني التحديات التي تواجه الهوية الوطنية, والمحور الثالث الثقافة الشعبية وأهميتها في حفظ الهوية والحفاظ على الوحدة الوطنية, وجاء المحور الرابع من هذا البحث ليعرض حال الأمثال الشعبية بين الإهمال والتوثيق, بالإضافة إلى عرض مفصل لنماذج من الأمثال الشعبية اليمنية, وكيفية توظيفها للحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية بالإضافة إلى عرض لنتائج البحث والمقترحات والتوصيات.

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن دور الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية، كهدف رئيسي ويمكن تحقيق هذا الهدف من خلال تحقيق الأهداف الفرعية الآتية:

1. التعريف بالأمثال الشعبية اليمنية كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية والتراث الثقافي.
2. إبراز الأمثال الشعبية اليمنية للأجيال، في محاولة لربط الإنسان اليمني بجذوره الثقافية الأصيلة في مواجهة الثقافات المتسللة عبر قنوات الاتصال المختلفة.
3. السعي نحو محاولة ترسيخ الهُوية الوطنية اليمنية والمحافظة عليها والحث على إحياء الأمثال الشعبية وحفظها.
4. التمسك بعناصر الثقافة الشعبية ومعايشتها.
5. صيانة التراث الشعبي اليمني والمحافظة عليه والدعوة إلى توثيقه في التقنيات الحديثة.
6. محاولة وضع رؤية لكيفية توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية.

أهمية البحث

تكمن أهمية هذا البحث في محاولته تقديم رؤية مقترحة لكيفية توظيف الثقافة الشعبية وإحيائها في سبيل الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية، وكذلك فيما سوف يقدمه من نتائج علمية وتوصيات ومقترحات لرفد المكتبة العلمية، وفي فتحه الباب أما الدارسين والمهتمين للبحث حول قضايا الثقافة الشعبية اليمنية والهوية الوطنية، أما على مستوى الفرد والمجتمع فتكمن أهميته في سعيه نحو صقل شخصية الفرد وإعادته إلى حضن ثقافته الأصيلة وتسجيل وتدوين الأمثال الشعبية حفاظاً على شخصية المجتمع وهويته.

أسباب اختيار الموضوع

تكمن أسباب اختيار الموضوع في التراجع والإهمال الملحوظ لبعض جوانب الثقافة الشعبية, حيث صار ينظر إليها من قبل البعض على أنها صورة من صور الرجعية والتخلف الثقافي, حيث لاحظ الباحث إهمال معظم الشباب لبعض عناصر الثقافة غير المادية كالزوامل الشعبية في المناسبات الاجتماعية التي كانت تشهد حضوراً لا ينقطع حتى ثمانينات وتسعينات القرن العشرين, حيث بدأت في الانحسار التدريجي بفعل منافسة الآلات الموسيقية والأناشيد, وكذلك ما لاحظه الباحث من انحسار للأمثال الشعبية(موضوع البحث) في أوساط الشباب, واقتصار استخدامها على شريحة كبار السن وغالباً أولئك الذين لم يتلقوا قدراً كافياً من التعليم, الأمر الذي لفت انتباه الباحث إلى هذا التهديد الخطير الذي بات يزحف للنيل من الثقافة الشعبية ويهدد الذاكرة الوطنية بشكل مباشر والهوية الوطنية بشكل غير مباشر.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية: دور الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية

الحدود البشرية: المجتمع اليمني

الحدود المكانية والزمانية: الجمهورية اليمنية في فترة إعداد هذا البحث ديسمبر 2020م

مفاهيم البحث:

أ. الثقافة الشعبية: (هي كل الأشكال التعبيرية المنطوقة والتي تختزنها الذاكرة الشعبية, وتشمل هذه الثقافة الشعبية الموروث السردي (الحكايات والخرافات...) والحكم والأمثال الشعبية وغيرها من فنون التعبير الأخرى (https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB)

وإجرائياً يعرف الباحث الثقافة الشعبية على أنها: كل الأشكال التعبيرية المنطوقة والتي تختزنها الذاكرة الشعبية اليمنية من الحكم والأمثال الشعبية والمقولات التي يتم تداولها.

ب. الهوية: هي مجمل السمات التي تميز شيئاً عن غيره أو شخصاً عن غيره أو مجموعة عن غيرها http://ar.m.wikipedia.org () وقد ارتبط مفهوم الهوية بعدد من المفاهيم, مثل مفهوم الهوية القومية, الهوية الوطنية, وهما مفهومان يمكن أن نطلق على كل منهما الهوية الجمعية, وما يهمنا هنا هو مفهوم الهوية الوطنية.

ج. الهوية الوطنية: الهوية الوطنية في كل أمّة هي الخصائص والسمات التي تتميز بها، وتترجم روح الانتماء لدى أبنائها، ولها أهميتها في رفع شأن الأمم وتقدمها وازدهارها، وبدونها تفقد الأمم كل معاني وجودها واستقرارها، بل يستوي وجودها من عدمه (https://mawdoo3.com/%D9%)

فالهوية الوطنية تدل على ميزات مشتركة أساسية لمجموعة من البشر تميزهم عن مجموعة أخرى, ونقصد هنا بكلمة " أساسية" أي أنهم قد يختلفون في سمات أو عناصر أخرى لكنها لا تؤثر على كونهم مجموعة ما داموا يتشابهون في الميزات الأساسية.

وإجرائياً يعرف الباحث مفهوم الهوية الوطنية اليمنية على أنها: إطار من السمات الأساسية المشتركة التي تميز الإنسان اليمني عن غيره والتي تحمل الطابع الثقافي المنتج محلياً على اعتبار الهوية الوطنية في صورتها الثقافية هي انعكاس للثقافة الشعبية المنتجة محلياً ومعبرة عنها.

د. **المثل الشعبي**: (عرفه الفارابي بقوله: " المثل ما ترضاه العامة والخاصة في لفظه ومعناه، حتى ابتذلوه فيما بينهم وفاهوا به في السراء والضراء (الفارابي. 2003.ص74) ويعرفه السيوطي نقلاً عن المرزوقي صاحب كتاب (شرح الفصيح) إنه جملة من القول مقتضبة من أصلها أو مرسلة بذاتها، فتتسم بالقبول وتشتهر بالتداول فتنتقل عما وردت فيه إلى كل ما يصح قصده بها من غير تغيير يلحقها في لفظها وعما يوجه الظاهر إلى أشباهه من المعاني، فلذلك تضرب وإن جهلت أسبابها التي خرجت عليها (السيوطي. د,ت. ص486) وللمثل الشعبي مميزاته، حيث (يتميز خطاب الأمثال الشعبية بانتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية، لسهولة تمثله واستيعابه ولبنائه التركيبي وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري، ثم لاستمرارية حضوره وانتقاله من جيل لآخر، إضافة إلى طبيعته المتميزة بالتكثيف وبقدرته المجازية الكبيرة (أفرفار. 1996.: 57, 58)

وإجرائياً يعرف الباحث المثل الشعبي على أنه: صيغة تعبيرية باللهجة الشعبية المحلية تحمل مدلولاً معيناً سواءً كانت هذه الصيغة متداولة أو ضعيفة التداول.

أولاً: منهج البحث وأدواته

اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته لموضوع البحث، متخذاً من المراجع النظرية المكتبية أدوات لجمع المعلومات والبيانات التي تدعم البحث وتغذيه.

ثانيا: الدراسات السابقة:

على مستوى اليمن وحسب علم الباحث لا توجد دراسة علمية تطرقت إلى مثل هذا الموضوع باستثناء بعض الكتابات والمقالات الصحفية، أما على المستوى العربي, فقد حصل الباحث على بعض الأعمال في شكل أبحاث ترقية أو ورش عمل, ومن هذه الأعمال ما يلي:

1. هيبي محمد, " دور التراث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية", ورقة عمل, قُدمت في مؤتمر بعنوان ((انسجام الرؤية وتكامل العمل)) في اليوم الوطني للثقافة الفلسطينية, في الجامعة الأمريكية في جينين يوم الثلاثاء 2011/3/15م , ركزت ورقة العمل على الأغنية الشعبية الفلسطينية, وقدم خلالها رؤية خاصة لكيفية توظيف التراث الشعبي لتعزيز الهوية الوطنية الفلسطينية, وقد خرجت ورقة العمل هذه برؤية ركزت على عملية جمع التراث الشعبي والكيفية التي بها تتم عملية الجمع, بينما يسعى بحثنا هذا إلى تقديم رؤية أشمل تمثلت بعدة مراحل ابتداءً بعملية الجمع وانتهاءً بكيفية توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية.
2. العبيدي محمد, "أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل", بحث منشور, تاريخ قبول النشر 2018/5/27م, ركز البحث على أهمية التراث غير المادي كالحكايات والأساطير والأغاني والأشعار الشعبية وغيرها من التعبيرات, وهدف البحث إلى إيجاد التدابير التي من شأنها أن تضمن استدامة التراث غير المادي, وتوصل البحث إلى جملة من التدابير كرؤية لصون التراث الشعبي وذلك بتحديد هذا التراث وتوثيقه وإجراء البحوث فيه والمحافظة عليه وحمايته وتعزيزه وإبرازه ونقله، وإحياء مختلف جوانب هذا الموروث, لكن هذا البحث عند تطرقه للأمثال الشعبية في الموصل لم يقدم شرحاً لها وإنما اكتفي بعرض عدد قليل منها كإشارة عابرة, بينما في بحثنا هذا سنقوم بعرض تسعة عشر مثلاً شعبياً مع الشرح والتوضيح لمعانيها مع التركيز على الأمثال التي تخدم مدلولاتها موضوع البحث أي الأمثال التي تحث على أهمية التمسك بالهوية الوطنية وعدم التفريط فيها.

المحور الأول: المثل الشعبي، الخصائص والأهمية

أولاً: الثقافة الشعبية والتراث الثقافي

حينما نلقي نظرة على تعريف اتفاقية اليونسكو لمفهوم التراث الثقافي غير المادي, نجد أن هذا التعريف يتفق مع تعريفنا لمفهوم الثقافة الشعبية اللامادية, كما سبقت الإشارة؛ ففي عام 2003م في باريس عرفته اتفاقية اليونسكو بأنه (مجموعة الممارسات، والتصورات، وأشكال التعبير، والمعارف، والمهارات وما يرتبط بها من آلات، وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية، التي تعدها الجماعات والمجموعات، وأحياناً الأفراد، جزءاً من تراثهم الثقافي. وهذا التراث الثقافي غير المادي ينتقل من جيل إلى جيل، ويتحقق بعثه من جديد من قِبل الجماعات، والمجموعات طبقاً لبيئتهم، وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم https://www.ich.unesco.org/ar/convention ( ) ؛ "وبذلك ينسحب مفهوم التراث الثقافي غير المادي بشكل كبير على التقاليد المعيشية، والتعبيرات الثقافية للمجموعات والأفراد، والعمليات الإبداعية، والمعرفية، والقيم التي تُمكّن من إنتاج هذه التعبيرات الثقافية، وطبيعة العلاقة بين المنتجين والمتلقين لهذه التعبيرات، وتَسِم هذه المصادر التراثية الثقافية خصوصية كل شعب، وتؤدي البيئة الاجتماعية والطبيعية دوراً في تكوينها،إذ تعد من العوامل الأساسية في تميز أفراد هذا المجتمع عن غيره

https://www.iasj.net/iasj/download/11199e8fececc6a64( ), ومن خلال ما تقدم نجد أن تعريف اتفاقية اليونسكو هو تعريف شامل, وقد تضمن الأمثال الشعبية كعنصر من عناصر التراث اللامادي أو الثقافة الشعبية اللامادية, ويتضح لنا الترابط القوي بين الثقافة الشعبية والتراث الثقافي.

ثانياً: المثل الشعبي وخصائصه

يعرف الباحث المثل الشعبي بأنه تعبير موجز يتداول بين العامة كلما تكرر موقف مشابه للموقف الذي ظهر فيه لأول وهلة, وللمثل الشعبي خصائصه التي من خلالها اكتسب أهمية كبيرة كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية غير المادية؛ حيث (يتميز خطاب الأمثال الشعبية بانتشاره السريع بين مختلف الفئات الاجتماعية، لسهولة تمثله واستيعابه ولبنائه التركيبي وقدرته التعبيرية التي تجعله يعكس مختلف أنماط السلوك البشري، ثم لاستمرارية حضوره وانتقاله من جيل لآخر، إضافة إلى طبيعته المتميزة بالتكثيف وبقدرته المجازية الكبيرة

Folkculture.org/ar/index.php?issue=26&page=main ( )؛ فبنائه التركيبي مختصر وهذا الاختصار إنما يعكس البراعة البلاغية التي أخرجت المثل إلى حيز الوجود, كصيغة خطابية موجزة (ويعبر هذا الخطاب عن الواقع البشري ويختزن صورا مختلفة

(https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB) أيضاً المثل الشعبي- مثله كبقية عناصر ومكونات الثقافة غير المادية- يمتاز بأن صناعته لا تتوقف؛ (ذلك أن التراث الشعبي و الثقافة الشعبية لا تتوقف صناعتهما لأنهما صنوٌ للحياة واستمرارها مرتبط باستمراره) Folkculture.org/ar/index.php?issue=26&page=main ( ), ويرى الباحث- بالإضافة إلى ما تقدم- أن المثل الشعبي يتميز بأنه تعبير بليغ من ناحيتين الناحية الأولى البلاغة البنائية؛ فهو لا يتجاوز بضع كلمات, ومن الناحية الثانية البلاغة في المعنى؛ وهذا يجعلنا أمام مفهوم جديد وهو ما يمكن أن نطلق عليه مسمى "البلاغة الشعبية" ويضيف الباحث خاصية التلقائية؛ فالمثل الشعبي يظهر في البداية بشكل تلقائي غير مقصود, حيث لا يحتاج إلى تجهيزات مسبقة أو نظام معين سوى تلك المقدمات المتمثلة بحركية المجتمع و الأحداث والتفاعلات الاجتماعية بين الإنسان وأخيه الإنسان وبين الإنسان ومحيطه, ومن خلال ما تقدم نجد خصائص المثل الشعبي هي في حد ذاتها تعبر عن ثقافة المجتمع فهو- أي المثل الشعبي- هو عصارة حياة وتجارب المجتمع؛ وهكذا يتضح لنا أن المثل الشعبي مكون أساسي من مكونات الثقافة الشعبية وجزء لا يتجزأ منها.

ثالثاً: الأمثال الشعبية وأهميتها كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية

تعتبر الأمثال الشعبية عنصراً هاماً ومكوناً رئيسياً من مكونات الثقافة الشعبية اليمنية والثقافة الشعبية لأي مجتمع من المجتمعات, فهي تعكس خصوصية المجتمع وتعبر عنه كحصيلة لتفاعل المجتمع مع نفسه ومع غيره, ومع محيطه وبيئته, وهي خلاصة لتجاربه المتراكمة عبر التاريخ, وعند التطرق إلى التعرف على أي مجتمع فإن الاهتمام غالباً ما ينصب حول ثقافة المجتمع وتحديداً ثقافته الشعبية وليس ثقافة النخبة, وذلك لأن الأولى هي ثقافة العامة والسواد الأعظم من الناس ولما كان الأمر كذلك فإنها بطبيعة الحال ستكون هي المعبرة عن الوجه الحقيقي لهذا المجتمع أو ذاك إذا جاز التعبير؛ وبناءً عليه فإن الثقافة الشعبية هي الثقافة الأصيلة لأنها نشأت نشأة وطنية خالصة نقية من شوائب الثقافات الدخيلة وخصوصاً لأنها نشأت وتشكلت في الوقت الذي لم يكن قد ظهرت فيه وسائل النقل السريع أو وسائل التواصل الاجتماعي الحديث, التي باتت تمزج الحضارات والثقافات ببعضها خدمة لتوجهات العولمة الرامية إلى مسخ الخصوصيات الثقافية لمصالح ثقافة كونية واحدة وعلى حساب الهويات القومية والوطنية الخاصة؛ وهذا ما دفع بنا نحو إعداد هذا البحث مساهمة في المحافظة على هويتنا الوطنية, في وجه هذا السيل المتدفق من المعلومات في عصر التكنولوجيا التي لا تعترف بالحدود الجغرافية ولا بالهويات الثقافية الخاصة, (والتراث غير المادي، شأنه شأن الثقافة، يتغير ويتطور ويزداد ثراءً جيلاً بعد جيل، ولكن في ظل الحداثة والعولمة فإن كثيراً من أشكال التعبير ومظاهر التراث الثقافي غير المادي باتت مهددة بالاندثار، وبذلك أصبحنا بحاجة لاتخاذ تدابير من أجل أن يظل هذا التراث جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية والهوية الوطنية، فنحن بحاجة لمحاولات جادة

لإحياء وتطويع التراث ليصبح في متناول الجيل الجديد، ويغدو منبعاً ثرياً يسهم في تحقيق الثقافة بقاءً للقيم الروحية والاجتماعية الرابطة بين أفراد المجتمع المحلي https://www.iasj.net/iasj/download/11199e8fececc6a64( ) وبدون اتخاذ التدابير اللازمة للحفاظ على ثقافتنا الشعبية بكل أشكالها وعناصرها فإن هويتنا الوطنية ستكون مهددة بالانقراض؛ ومن هنا تبرز ماهية المثل الشعبي وأهميته, حيث يعتبر عنصراً أساسياً و جزءاً لا يتجزأ من الثقافة الشعبية, وله أهميته في الحفاظ على العناصر المختلفة للثقافة الشعبية, هذا ولعل من أسباب إهمال الأمثال الشعبية الأسباب التالية:

1. غياب مفردات الثقافة الشعبية من مقررات المناهج الدراسية.
2. تحرج بعض الشباب من حفظ أو استخدام الأمثال الشعبية واعتبارها شكلاً من أشكال الثقافة التقليدية الغير جديرة بالاهتمام
3. قلة اهتمام وسائل الإعلام بالبرامج والندوات الثقافية ذات الطابع الشعبي المنطوق وتخصيص أكثر اهتمامها في هذا المضمار على الثقافة الشعبية ذات الطابع المادي على سبيل الترويج السياحي إذا جاز التعبير.

ومن خلال معرفة أسباب تراجع استخدام الأمثال الشعبية، يصبح بالإمكان وضع المقترحات والحلول في شكل رؤى وتصورات حول كيفية إحياء الأمثال الشعبية والمحافظة عليها، كما سيتضح لنا في المحور الأخير.

رابعاً: أهمية الحفظ والتوثيق للأمثال الشعبية

تكمن أهمية الحفظ والتوثيق للأمثال الشعبية بشكل خاص ولثقافتنا الشعبية بشكل عام في أن الحفظ والتوثيق يحمي ثقافتنا من الانقراض والاندثار, ويصونها مما هو أكثر خطراً من ذلك وهو التحريف والتشويه سواء في بنيتها أو في مضمونها ودلالتها, كما أن عمليات الحفظ والتوثيق تعمل على صيانة الأمثال الشعبية وحمايتها من السرقة, ولكن وحسب وجهة نظر الباحث فإن الحفظ والتوثيق على المستوى المحلي لا يعد كافياً؛ إذ من الأجدر بنا العمل على حفظها وتسجيلها وتوثيقها على المستوى العالمي من خلال المجامع والمنظمات العربية والعالمية المعنية بحفظ بالتراث وتوثيقه كضمانة قوية على احترام الخصوصيات الثقافية من كل ما قد تتعرض له من محاولات القرصنة الثقافية وغيرها من أشكال السرقة والتحريف والتزوير والعبث, وهذا الأمر تقع مسئوليته على عاتق الجهات المعنية وذات العلاقة على المستوى الرسمي بدرجة أولى والمستوى الشعبي بدرجة ثانية, ومن هنا فإن الحفاظ على عناصر الثقافة الشعبية وصيانتها بمختلف مكوناتها وعناصرها المادية وغير المادية يعد حفاظاً على الهُوية الوطنية واستمرار تجذرها أكثر وأكثر في عمق التاريخ.

المحور الثاني: التحديات التي تواجه الهوية الوطنية وكيفية الوقاية منها.

أولاً: العولمة: أهدافها وأساليبها

العولمة كلمة تختصر العالم بمختلف كياناته السياسية والاقتصادية والاجتماعية ومكوناته الثقافية في كيان واحد لا تعترف بالخصوصيات, ولا تقيم وزناً للثوابت الوطنية, أو للقيم والمثل الإنسانية, فهي (الوجه الجديد للاستعمار، وهي أخطر بما لا يُقارن مع الاستعمار التقليدي، معناها الحقيقي الهيمنة؛ الهيمنة على كل شيء، ليس على المستوى السياسي والاقتصادي فقط، وإنما أيضاً على المستوى الاجتماعي والأخلاقي؛ فهي أي (العولمة) لا تستطيع أن تعيش في ظلّ مجتمع تحكمه القيم والمُثل الإنسانية ( ) https://www.dramuhammadhebi.com ما يعني أن العولمة تستهدف الثقافة وتسعى إلى هدمها قبل أن تستهدف أي شيء آخر وذلك, من خلال الأساليب والوسائل المتنوعة والخطرة التي تنخر في عظام وجسد الأمم والشعوب؛ من أجل تذويب وصهر التراث العريق في بوتقة واحدة, بغرض الهيمنة؛ كما سبقت الإشارة (إذ لا بدّ للعولمة، حتى تفرض هيمنتها على شعب ما، أن تفرض هيمنتها الثقافية أولا، ما يعني هدم ثقافة هذا الشعب وتراثه بعد التشكيك بهما ونَعْتِهما بالقِدَم والتخلف، وأنهما لا يتماشيان مع روح العصر، ولا يفيان بمتطلباته (https://www.dramuhammadhebi.com) ومن هنا نلاحظ أن ثقافة العولمة هي العدو للخصوصية الثقافية, مما جعل الثقافة الشعبية بمختلف عناصرها تواجه خطر العولمة الثقافية و زحف الثقافات الدخيلة وخصوصاً في ظل التطور المتسارع للتكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي.

ثانياً: مخاطر العولمة

إن اعتبار العولمة تهديداً للهوية الوطنية إنما جاء من خطورة الأمراض التي تعمل على نشرها والسموم التي تقوم ببثها داخل جسد الأمة, فهي أمراض عضال قد لا تبرأ منها الأمة ما لم تضع التدابير الواقية واللازمة التي تحول دون تحقيق العولمة لأهدافها في طمس هويتنا الوطنية والعربية؛ وبمعنى أخر (إنّ هذه الأمراض التي تنشرها العولمة لا يمكن مواجهتها إلا بنشر الثقافة الشعبية والتوظيف الصحيح للتراث الشعبي، لكي لا يفقد الإنسان انتماءه لشعبه وتاريخه وقيمه وأخلاقه, ولكي لا يفقد انتماءه لنفسه؛ فالثقافة الشعبية تشفي النفس وتهذّبها وتُصلِح ما تآكل منها بفعل العولمة (https://www.dramuhammadhebi.com)؛ فالثقافة الشعبية- المادية منها وغير المادية- هي اللقاح المناسب الذي من خلال إحيائه وإعادة تفعيله داخل الكيان اليمني والعربي هو الكفيل بتحصين هذا الكيان من هذا المرض المستشري أو ما بات يعرف باسم "العولمة". ومن خلال ما تقدم يتضح هدف العولمة وأساليبها ووسائلها, وهما ما نسعى لإبرازهما بغرض

الاستعداد المسبق لمواجهة الخطر الذي بات يداهم هويتنا الوطنية والعربية إن لم نقل والإسلامية, ومن هذا الخطر الذي يتهدد الهوية الوطنية يكتسب الموضوع أهميته, فمعرفة الداء يسهل من عملية انتقاء الدواء

ثالثاً: أهمية الوعي بالهوية الوطنية لمواجهات تحديات العولمة.

للوعي بالهوية الوطنية أهمية كبيرة, ولعل ما يعطيه هذه الأهمية هو أن الوعي بها هو وعي بالأنا ووعي بالآخر, والجهل بالهوية الوطنية هو جهل بالأنا مع إمكانية الوعي بالآخر, (إنّ للوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها آثار عظيمة، تنعكس على الفرد والمجتمع والوطن بشكل عام، ولاسيّما متى قام الكل الوطني بواجباته خير قيام، فثمرات ذلك أكثر من أن تحصى، تمثل قوة في النسيج الاجتماعي، تعجز عن اختراقه مكائد الطامعين وأهواء الفاسدين، ونهضة في العلم والمعرفة، في شتى المجالات، وحدٍّ من الأمراض، وقوة في الاقتصاد، واستغلال جيد للعقول المبدعة، وتطوير دائم وبناء للوطن، ولحوق بركب الحضارة، بل ريادة في مصاف الأمم، وهيبة للوطن والمواطن، إذا اعتز الكل بهويته الوطنية، فأحسن فهمها، وأجاد لغة التعبير عنها (https://mawdoo3.com/%D9%) وعليه فإن الوعي بأهمية الهوية الوطنية يجعلنا نعطيها حقها من الاهتمام, والعكس صحيح.

رابعاً: الثقافة الشعبية وأهمية إحياء التراث الثقافي

والثقافة الشعبية بأشكالها وعناصرها المختلفة, من تراث شعبي وقيم وأخلاق وعادات وتقاليد وأنماط سلوكية, وحكم وأمثال شعبية, ورموز وإبداع، تعمل على ترسيخ وتجذير الطابع الشعبي والقومي الذي تعمل على تعميقه وتأصيله في نفوس أجيالنا وعقولهم, وتعتبر الثقافة الشعبية اليمنية من أغنى وأغزر الثقافات وأكثرها عمقاً وأصالة, ومسألة إحياء هذا التراث الضخم من شأنه أن يؤدي إلى تعميق الصلة بين الأجيال وتاريخها في محاولة للنهوض بالأمة على أسس متينة من الثقافة الأصيلة الكفيلة بتحقيق الرقي والتقدم المنشود والأمثال الشعبية، كمكوّن أساسي من مكوّنات الثقافة الشعبية، ودوره الأساسي في صياغة وتشكيل الشخصية الوطنية، وبلورة الهوية الوطنية والحفاظ عليها كذلك، هو موضوع هذا البحث الذي بين أيدينا. إن الثقافة الشعبية في شكلها غير المادي تعتبر مكوناً أساسياً من مكونات الثقافة بشكل عام؛ لما لها من دور أساسي وفعال في صياغة الشخصية الوطنية وبلورة الهوية لكل شعب من الشعوب، والأمثال الشعبية كعنصر من عناصر الثقافة الشعبية غير المادية، وتلعب دوراً لا يقل أهمية عن دور بقية عناصرها المكونة لها مثل القصص الشعبية والحكايات وغيرها.

ورغم أهمية هذا الدور للثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية وصياغتها إلا أن ما نسعى إليه في ثنايا هذا البحث هو الكيفية التي يمكن من خلالها استغلال هذه الثقافة وتوظيفها التوظيف الأمثل للحفاظ على هويتنا الوطنية وتعزيزها في وجه التحديات التي باتت تهددها. وقد اقتصر موضوع هذه البحث على عنصر واحد من عناصر الثقافة الشعبية وهو الأمثال الشعبية، كما سبقت الإشارة.

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن توظيف الثقافة الشعبية بمختلف عناصرها ليس هو الأداة الوحيدة التي من خلالها يمكن أن نحافظ على انتمائنا وأخلاقنا وهويتنا الوطنية والثقافية، ولكن يمكن اعتبار توظيف الثقافة الشعبية أداة من الأدوات الهامة والفاعلة في الحفاظ على الهوية وتعزيزها.

وكما سبق أن أشرت، وبالرغم مما تقدم حول أهمية الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية إنما يظل جوهر الموضوع هو كيف يمكن لنا توظيف هذه الثقافة في خدمة هويتنا الوطنية والحفاظ عليها؟ وهذا التساؤل هو أكثر التساؤلات استحواذاً على سطور هذا البحث؛ نظراً لما تمثل الإجابة عليه من أهمية في إثراء نتائج هذا العمل، وهذا ما سيتضح لنا في المحور الأخير من هذا البحث.

المحور الثالث: الثقافة الشعبية وأهميتها في حفظ الهوية والوحدة الوطنية

أولاً: العلاقة بين الثقافة الشعبية والهوية الوطنية.

يرى الباحث أن الثقافة الشعبية هي أساس الهوية الوطنية, فهذه الثانية مربوطة بالثقافة الشعبية ومعبرة عنها؛ حيث تعد الثقافة الشعبية هي التي تمثل الجذور العميقة للهوية الوطنية, أما الثقافة النخبوية فيرى الباحث أيضاً أنها قد لا تلغي الثقافة الشعبية؛ أي أن المثقف النخبوي هو في الوقت نفسه على صلة بالثقافة الشعبية التي قد لا يمكن له إثبات هويته الوطنية إلا من خلالها, ولما كانت الثقافة الشعبية هي كل الأشكال التعبيرية المنطوقة التي تختزنها الذاكرة الشعبية, ولما كانت الثقافة الشعبية هي مجموع العناصر التي تشكل ثقافة المجتمع المسيطرة في أي بلد- كما سبقت الإشارة- فإنه قد يكون من المستبعد- حسب رأي الباحث- أن يتم الحديث عن الهوية الوطنية بعيداً عن هذا التراكم الفكري الذي يعد الخيوط والجذور والنواة الأولى التي أنتجت جملة من الخصائص والمميزات التي تخرج أي فرد أو أي مجتمع عن نطاق المجتمعات الأخرى, وتحتفظ به في نطاق مجتمعه الذي يتطابق معه تمام التطابق, ويخرجه أيضاً من نطاق العمومية والشتات إلى نطاق الخصوصية والعثور على الذات الفردية والاجتماعية, وهنا تكمن طبيعة العلاقة بين الثقافة الشعبية والهوية الوطنية وهي علاقة ذات أهمية كبيرة حيث أن الاهتمام بأحد شقيهما يعني بالضرورة الاهتمام بالشق الآخر؛ فلا هوية أصيلة ومتينة بلا ثقافة شعبية راسخة تتصل ثمارها بجذورها.

ثانياً: الثقافة الشعبية والوحدة الوطنية

لعل من أهم ما يميز الثقافة الشعبية هو أنها الحزام المتين الذي يحيط بجميع أبناء الشعب الواحد في إطار واحد وتجعلهم يشعرون بأنهم كلٌ لا يتجزأ ووحدةٌ

لا تنفصم, فحينما تتوحد الثقافة تتوحد الأمة, ما يعني أن وحدة الأجيال هي نتيجة لترابط الجذور وتداخلها وتماسكها, ويبدو لنا واضحاً وجلياً من أن لكل أمة ثقافتها الخاصة والتي على أساسها تشكلت الكيانات والقوميات والدول, وإذا كان في بعض الدول الكبيرة مكونات ثقافية متعددة داخل نطاق الأمة الواحدة إلا أن ثمة ما يجمع بين كل تلك المكونات أو الأقليات في الخطوط العريضة لمكونهم الثقافي الأساسي, وفي المقابل نجد أن الثقافة الراقية أو ثقافة النخبة هي أعجز من أن تقوم بدور الحفاظ على وحدة الأمم والشعوب؛ إذ أنها ثقافة لا تمثل إلا شريحة صغيرة من شرائح المجتمع, وخصوصاً إذا كانت هذه الشريحة لا تمتلك زمام الأمور ولا تحتل مراكز صنع القرار في البلاد, (وقد فرق كثير من الباحثين بين الثقافة الجماهيرية أو الشعبية وبين ما يطلق عليها " الثقافة الراقية" التي تضم عناصر من قبيل الموسيقى الكلاسيكية, والروايات الأدبية الجادة, والشعر والرقص وغيرها من المنتجات الثقافية التي لا يتذوقها إلا شريحة قليلة العدد نسبياً من المتعلمين
(http://www.moqatil.com/openshare/Behoth/aMnfsia15/ThaqafaShab/sec01.doc_cvt.htm)
إذ بالرغم من أن هذه الشريحة النخبوية تعد نسبية وقليلة العدد, إلا أنه قد يكون لها دور كبير في التأثير على الثقافة الشعبية وإن على المدى البعيد, ومن هنا تتضح أهمية الثقافة الشعبية في تعزيز التلاحم الوطني والشعور بالوحدة الوطنية.

ثالثاً: الفرق بين الثقافة الشعبية والثقافة النخبوية

لكل مجتمع ثقافته الخاصة, ولا يوجد مجتمع بدون ثقافة, إلا أن هذا المجتمع أو ذاك يوجد من بين أفراده- وهم الأغلب تقريباً- لا يعون أنهم مثقفون؛ فالمثقف في نظرهم هو الشخص المتعلم وصاحب المؤهل والذي يتحدث بطريقة رسمية وأسلوب علمي, ويظهر لهم في سلوكه وتصرفاته ما يجعله مختلف عنهم في طريقة تعامله وتنظيم حياته وعلاقاته... إلخ, وأصحاب هذه النظرة يطلق عليهم الباحث "المثقفين الأميين أو المثقفين العفويين" وفي المقابل توجد شريحة من بين أفراد المجتمع تحمل الثقافة الشعبية نفسها وهي تعي أنها تحملها, هذا الوعي هو ما يجعلنا نخرج هذه الشريحة من نطاق الصنف الأول الذي أطلقنا عليهم مفهوم " المثقفين الأميين أو العفويين" ويطلق الباحث على هذا النوع من حاملي الثقافة الشعبية بوعي اسم " المثقفين المتعلمين"

وهذا الصنف-حاملي الثقافة بوعي-هم من يقع عليهم عبء تنوير الصنف الآخر للتمسك بثقافتهم ويخشون على مجتمعهم من تسرب ثقافتهم الأصيلة ويهدد هويتهم الوطنية، ومن هنا فإن الثقافة الشعبية هي الأقدر والأجدر بالحفاظ على الهوية الوطنية من الثقافة النخبوية أو الثقافة الراقية التي لا تمثل إلا شريحة صغيرة في المجتمع.

المحور الرابع: نماذج من الأمثال الشعبية اليمنية, وكيفية توظيفها للحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية

أولاً: الأمثال الشعبية اليمنية بين الإهمال والتوثيق

حينما نتحدث عن موضوع الأمثال الشعبية بين الإهمال والتوثيق فإننا لا نعني فقط حفظها بالطرق التقليدية بين صفحات الكتب الورقية والمكتبات المعروفة خلال فترات ما قبل ظهور التكنولوجيا الحديثة, ولكننا نعني هنا- بالإضافة إلى ما ذكر- حفظ الأمثال الشعبية عبر التقنيات الحديثة التي باتت أسرع انتشاراً من الكتب والصحف والمجلات الورقية؛ مما سوف يساعد على وصول الأمثال الشعبية إلى أكبر عدد ممكن من القراء؛ إن على المستوى الداخلي أو على المستوى القومي أو العالمي, وفي سبيل البحث والتأكد من مدى ما تحظى به الأمثال الشعبية اليمنية من اهتمام وحفظ وتوثيق عبر التقنيات الحديثة قام الباحث بالبحث والتفتيش في أروقة الشبكة العنكبوتية فوجد أن هناك عددا لا بأس به من الأمثال الشعبية اليمنية المحفوظة إلكترونياً, بالإضافة إلى أعداد أخرى منها أو يكاد البعض منها يكون مكرراً, وهذه الأعداد قد نجدها متناثرة بين موقع وآخر على الشبكة العنكبوتية, إلا أن هذا- حسب رأي الباحث- لا يكفي؛ إذ يرى الباحث أن عملية الحفظ الكترونياً بحاجة إلى المزيد من الإبراز والإشهار بحيث تكون هذه الأمثال معدة ومشروحة بشكل علمي دقيق, من حيث صحة لفظ المثل وتدوينه كتابةً وصوتاً, ويتم تجميع الأمثال الشعبية في برنامج أو تطبيق خاص وموقع محدد بحيث يسهل الحصول على محتوياته, من خلال توفر التطبيق في وسائل الاتصال الحديثة.

ثانياً: نماذج من الأمثال الشعبية اليمنية.

هناك العديد من الأمثال الشعبية اليمنية التي قام الباحث بجمعها، وهنا سنعرض عدداً منها، وكل واحد من هذه الأمثال يحمل مدلولات عدة, وقد ركزت عند اختياري لهذه النماذج على جانبين, أولاً إبراز بعض الأمثال الشعبية اليمنية والتعريف بها , وثانياً انتقاء الأمثال, فلا يكون اختيارها عشوائياً, بل أن يكون مدلولها أو معناها مرتبطاً بسياق موضوع هذا البحث وهي الأمثال التي تحث على التمسك بالثقافة الشعبية وأهميتها في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية, ومن هذه الأمثال ما يلي:

1. ***من خرج من جلدته جف***: ما يعني أن محاولة النهوض بالوطن على أساس من الثقافات غير الأصيلة، إنما هو أشبه بعودٍ أزيلت عنه قشرته فجف وانتهى، وكان مصيره الهلاك.
2. ***من اعتمد على قوت جاره طال جوعه***: أي أن انتظارك للآخر حتى يمد لك يد العون ويقدم لك المساعدة إنما سيؤدي هذا الانتظار إلى المزيد من الجوع؛ فالآخر لا يقبل بأن تكون أفضل منه فكيف

تتوقع منه أن يقف إلى جانبك، فقد يتعمد تجويعك لتبقى في حاجة دائمة إليه.

3. ***الحجر القريبة صلاح الزريبة***:(الزريبة هي المبنى الشعبي المعد كمأوى للأغنام) أي أن الأحجار التي يتم جلبها من بعيد أو من بيئة بعيدة ستكون مختلفة عن أحجار الزريبة مما يجعلها غريبة ومختلفة عن بقية الأحجار، في إشارة إلى أهمية التجانس في الحفاظ على قوام (الزريبة) وشكلها وبما يحقق متانتها، أي أن الأقرب والأنسب للحفاظ على هويتنا أو ترميمها وإصلاحها هو ربطها بالثقافة الشعبية التي هي في الحقيقة منبع الهوية الوطنية.

4. ***طحين السلف ما يصلح عشاء كل ليلة***: أي أن استمرارنا في الاقتباس من ثقافة الغير ومنتجاته لن يدوم ولن يفيد ما لم نعتمد على ذاتنا، فنحن عندما نستمد من ثقافتنا الأصيلة فإننا لن نخشى على أنفسنا ولا على أجيالنا من أن يأتي علينا أو عليهم الوقت الذي نجد فيه أنفسنا وأجيالنا بلا عشاء، أي بلا عنوان، بلا هوية

5. ***ظهري أصبر علي من الحجام***: أي أن ما هو ملك لي (أي الثقافة الشعبية) أصبَر علي من الحجام (أي الثقافة الدخيلة) فالحجام أو الطبيب الأجنبي لن يصبر عليك أو يتحملك كما يمكن أن يصبر عليك ظهرك.

6. ***فارح بحق الناس سارق***: أي أن الناس يعتبرونك سارقاً ما دمت تقتني ممتلكات الآخرين وأشياءهم وتفرح بها، وكثيراً ما نجد بعض الدول أو الأمم من تنسب إلى نفسها منتجات ثقافية لدول وشعوب أخرى، كسرقة الآثار أو الأغاني الشعبية أو الأزياء أو الحكم والأمثال وغيرها وفي سياق موضوعنا فإن من اقتبس أو سرق من ثقافات الأمم وموروثاتها فإنه يُنظَر إليه على أنه لص.

7. ***قبض على حناك يحنى***: أي تمسك بالحناء الذي في قبضة يدك وسوف تظهر في يدك علامة الحناء، ما يعني أنك إذا تركته أو أهملته فلن تصل إلى النتيجة المرجوة، فمن تمسك بما بين يديه من موروث ثقافي أصيل فإن هذا سينتج عنه هوية وطنية قوية، والعكس صحيح.

8. ***لا سقط الثور كثروا الدحاسين***: "لا" في اللهجة المحلية لبعض المناطق اليمنية تعني (إذا , لو) كأداة شرط, "الدحاسين" مفردها "دحاس" وتطلق على الشخص الذي يقوم بتقطيع الثور بعد ذبحه؛ أي أن المجتمعات والشعوب والأمم إذا تخلت عن جذورها سقط حاضرها ومستقبلها؛ وكثر الدحاسون للنيل من هذه الأمة أو تلك, وفي هذا المثل تحذير من السقوط, لأن سقوط الثقافة الأصيلة أو التخلي عنها هو سقوط حضاري مدوي.

9. ***لا سلم العود الحال يعود***: أي إذا الأصل في الشيء وجوهره مازال قائماً فلا خوف من زوال هذا الشيء؛ فسلامة الثقافة الشعبية بمختلف عناصرها كأصل وأساس للهوية الوطنية هو مؤشر على ديمومة هوية المجتمع وسلامته.

10. ***ما ملقم شبع***: " ملقم" يقصد به الشخص الذي يوضع الطعام في فمه من قبل شخص آخر؛ أي أن الاعتماد على الغير لا يحقق الهدف المرجو، بمعنى أن تحقيق التقدم والنماء لن يتم إحرازه بالاعتماد على أياد غير أيادي أبناء الوطن، ويعني في المقابل أن استيراد الثقافات واستهلاكها لا يعود على الوطن ولا على الأمة بالنفع.

11. ***ما لك غير خشمك ولو كان أعوج***: أي ليس لك إلا خشمك حتى وإن كان أعوج، فالذين ينظرون إلى هويتهم ويستخفون بها ويبخسون من ثقافتهم الشعبية وينتقصون منها ويعتبرونها ثقافة رجعية وغير مجدية هم كمن لا يريد أن يقبل بحقيقة شخصيته ويحاول رفضها أو تغييرها.

12. ***محد يبدل بولده جني:*** تعني "محد " أي "لا أحد" أن الابن أفضل من الجني، فلا أحد يمكن أن يبدل بولده جنياً حتى وإن كان هذا الجني سيحقق المستحيلات، في إشارة إلى أن ما نملكه يظل أهم وأغلى مما يمتلكه الآخرون مهما كان ما لدى الآخرين ثميناً، لذا فإن ثقافتنا الأصيلة تظل أهم من ثقافة الآخر، وهذا المثل ينطبق عليه معنى الآية الكريمة قول الله تعالى" قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير". (سورة البقرة. الآية 61)

13. ***من أكل شعير الناس أكلوا بره:*** أي أن البعض لا يعجبه إلا ما يمتلكه الآخرون، أما ما يمتلكه هو فيبدو في نظره حقيراً صغيراً وغير ذي أهمية، لذلك تجده يسعى للنيل مما في يدي الآخر، ولا يعلم أن الآخر يخطط للنيل من الأشياء النفيسة، فثقافتنا هي الأنسب لنا من غيرها ولا ينبغي اللهث وراء ثقافة سواها فالآخر يتربص بثقافتنا وهويتنا، وبدلاً من أن نأكل من شعير الآخرين فإنه يتوجب علينا أن نأكل من البُر الذي نمتلكه، والمثل هنا يصور لنا أن البر أغلى ثمناً من الشعير.

14. ***من تعشى عشاء الناس تعشوا دمه***: وهذا المثل يشبه المثل السابق إلى حد ما, ويعني أن من أكل طعام الناس(في إشارة إلى الطرف الآخر) فإن هذا الآخر لن يتردد في أن ينال من دمك(في إشارة أغلى ما نملكه) أي أن من حاول أن يتقمص بقميص غيره؛ فإن صاحب هذا القميص لن يكتفي بأخذ القميص بل يريد جميع ملابسك ليس لاستهلاكها, ولكن لحرمانك منها.

15. ***من رقع ما عري***: أي أن من عمل على ترميم وترقيع ملابسه فلن يعرى جسمه، وفي المقابل ولتطبيق هذا المثل على الهوية والتحديات التي نواجهها, نستطيع القول أن من اعتنى وحافظ على ثقافته مما تتعرض له من التمزيق, فإن هويته ستظل قوية متماسكة, ثم إن الترقيع بخيط مختلف عن لون الثوب سوف يظهر عيب هذا الثوب أيضاً.

16. ***من ركن على سبغ غيره أكلها يابسة:*** (السبغ) يعني ما يسبغ عليه الطعام ليسهل بلعه؛ أي أن من اعتمد على جاره وانتظر أن يهديه هذا السبغ ليتناول

الطعام فإن طول الاعتماد سيؤدي إلى أن تتناول طعامك جافاً؛ بمعنى أن ثقافتنا الشعبية غنية جداً ولا حاجة بنا للانتظار حتى يقدم لنا الآخر من ثقافته وتراثه ما يعيينا على ترسيخ هويتنا والحفاظ عليها؛ لأن من شأن هذا الاعتماد والركون على الآخر سيجعلنا بمنأى عن ثقافتنا الأصيلة.

17. ***من سوى نفسه حسه أكلته الدجاج***: (سَوَى) أي عَمِل، (حِسَه) الحِسَه : هي ما يتبقى من الطحين بعد نخلِه وتنقيته, وهو ما تأكله الدجاج, والمثل يعني أن من وضع نفسه في هذا الوضع أو الحال, كانت الدجاج أولى به, وفي سياق موضوعنا فإن من وضع نفسه في موضع المستهلك لثقافة الآخر, فإنه لا شك سيجتاحه هذا الآخر رغم ضعفه, كيف لا وقد رضيت لنفسك بأن تكون أضعف منه.

18. ***من وسعه قبره وإلا عطفوه:*** أي أن من لم يكفه قبرُه- فكان قصيراً مثلاً- فلا حل حينها إلا أن يتم ضم رجليه إلى جسمه ليكون في مقاس قبره؛ إذ لا سبيل لأن يمد رجليه إلى القبر المجاور, وفي سياق موضوعنا فإن المثل يعني أن مكانك يظل هو الأنسب لك حتى ولو كان قبراً, وفي الوقت نفسه يعني أن محاولة إكمال النقص بالاستعانة بالآخر يعتبر أمراً معيباً, فأن نُفَصل أنفسنا على مقاس ثقافتنا وهويتنا هو أجدى وأنفع من أن نكمل ذاتنا بمحاولة الخروج عن نطاق ثقافتنا إلى نطاق الثقافات الأخرى.

19. ***ما ينفعك في عدوك قبيلة مستعارة***: أي أن استعارتك قبيلةً أخرى لتواجه بها عدوك هو أمر غير مجدٍ, فقبيلتك أو أمتك ستكون هي الأكثر إخلاصاً معك في مواجهة الخصم, وفي سياق موضوعنا فإن المثل يعني أننا لو كنا في مناظرة ثقافية مع الآخر أو حوار ثقافي حضاري, فإن اللجوء إلى الاقتباس من ثقافة غير ثقافتنا الأصيلة لمواجهة الآخر سيجعلنا في موقف ضعيف ويجعل الآخر في الموقف الأكثر قوةً وثقة, فمهما استعرنا من ثقافة الآخرين فإننا بهذا التصرف سنكون قد جنينا على أنفسنا مرتين, فلا نحن قدمنا أنفسنا للعالم كما ينبغي ولا نحن حافظنا على ثقافتنا الأصيلة.

كان هذا عرضاً نموذجياً لعدد من الأمثال الشعبية اليمنية من ضمن عدد كبير من الأمثال التي قام الباحث بجمعها، وقد حاول الباحث تطبيق هذه النماذج على موضوع البحث، إذ أن بالإمكان أن تحمل الأمثال الشعبية أكثر من تعبير ومدلول حسب السياق الذي يُذكَر فيه المثل.

من خلال ما تقدم نجد أن للثقافة الشعبية دور كبير وهام في الحفاظ على الهوية الوطنية لما للهوية من ارتباط وثيق بالثقافة الشعبية اللامادية كونها مرتبطة باللسان والفكر؛ ليس هذا تقليلاً من شأن الثقافة المادية، فلكل شق من شقي الثقافة قيمته وأهميته؛ إلا أن عناصر الثقافة اللامادية أكثر تعبيراً عن الهوية الوطنية من الثقافة المادية التي تعد أصلاً انعكاساً للثقافة الشعبية اللامادية (الفكرية)

ولكن كيف يمكن توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهُوية الوطنية اليمنية؟ وللإجابة على هذا السؤال قام الباحث بعرض رؤية حول كيفية توظيف الثقافة الشعبية (الأمثال الشعبية) في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية، وهذا ما سيتضح لنا من خلال الأسطر القادمة.

ثانياً: كيفية توظيف الأمثال الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية اليمنية

ثمة خطوات أرى أنها قد تكون لازمة وضرورية يتم إتباعها قبل القيام بأي آلية حول الكيفية التي بها يمكن توظيف الأمثال الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية، وهذه الخطوات نوجزها ونقدمها على شكل مراحل على النحو الآتي:

المرحلة الأولى (مرحلة الإحياء) وتمر هذه المرحلة بثلاث عمليات كما يلي:

1. علمية الجمع: حيث لا يمكن القيام بتوظيف الأمثال الشعبية في الحفاظ على الهوية الوطنية ما لم يتم جمعها أولاً, وعملية الجمع هذه هي الخطوة الأسبق على جميع الخطوات, والتي يمكن أن تتم من خلال عدة وسائل وطرق منها تسخير عملية البحث العلمي وتشجيع الباحثين والأكاديميين والمؤسسات العلمية كالجامعات والمعاهد المتخصصة للقيام بدراسات علمية لجمع الأمثال الشعبية.
2. عملية التنقيح: تأتي عملية تنقيح الأمثال الشعبية بعد عملية الجمع، حيث يتم تنقية الأمثال الشعبية مما علق بها من شوائب ومما اعتراها من نقص أو تحريف أو تشويه، وتقديمها للمتلقي في شكلها الصحيح.
3. التصنيف والترتيب: لما كانت الأمثال الشعبية اليمنية من الغزارة والكثرة ما يصعب احتواؤها، لذا يرى الباحث أن مسالة تصنيف هذه الأمثال هي مسألة هامة حتى تسهل عملية الحفظ والاستخدام والتمييز بين المناسبات المختلفة التي تستخدم فيها، كما يمكن تصنيفها على أساس الحجم (قصير، طويل، أطول) أو على أي نحو مغاير بما يسهل عملية التعاطي معها، ويمكن ترتيب الأمثال الشعبية على نحو معين، فبالإمكان ترتيبها على نحوٍ أبجدي، ويمكن أيضاً ترتيبها على أساس التشابه في الموضوع إلخ...

المرحلة الثانية (مرحلة الإشهار): في هذه المرحلة يتم إخضاع الأمثال الشعبية إلى العمليات التالية:

1. الشرح والتوضيح: وهي عملية هامة على طريق تحقيق الغاية الأساسية منها، وهي توسيع نطاق الذاكرة الوطنية بالأمثال الصحيحة في محاولة لتصحيح مخرجات الفكر وتنقيته من كل الشوائب ما أمكن.
2. الحفظ والتوثيق: عملية الحفظ والتوثيق هي العملية اللاحقة والتي من شأنها أن تضمن لأجيالنا الحصول على الأمثال الشعبية في صورتها الصحيحة؛ فعملية الحفظ والتوثيق تجعل ثقافتنا الشعبية مسجلة وموثقة في المؤسسات المحلية والعربية والعالمية المعنية بحفظ التراث الإنساني، وتكون مرجعاً للأمم والشعوب للحصول على ما يخصها من هذا التراث، وفي الوقت نفسه يكون فإن الحفظ والتوثيق من شأنه أن

يعمل على صد محاولات التجني على حقوق الغير، سواءً بالسرقة أو التشويه أو التحريف وغيرها من الأساليب الملتوية.

المرحلة الثالثة (مرحلة التوظيف):
تأتي هذه المرحلة كمرحلة أخيرة، وفي هذه المرحلة يمكن اللجوء إلى الوسائل المتاحة والأكثر قدرة على تحقيق عملية التوظيف، فبعد القيام بالجمع والتنقيح والشرح والتوضيح وكذا الحفظ والتوثيق، تأتي مرحلة توظيف الثقافة الشعبية (الأمثال الشعبية) وذلك من خلال الوسائل الآتية:

1. وسائل الإعلام: وذلك من خلال منح الأمثال الشعبية نصيبها ضمن الفقرات البرامجية والخطة الإعلامية السنوية عبر وسائل الإعلام المختلفة.
2. والمنهج التربوي: من خلال تضمين المنهج عدداً من الأمثال الشعبية في المراحل المختلفة، مع توضيح قصة المثل والمناسبات التي يقال فيها المثل، وجعل هذه الأمثال من ضمن ما يجب على الطلاب حفظه عن ظهر قلب.
3. الإذاعات المدرسية: من خلال تفعيل الفقرات التي تتضمن الأمثال الشعبية وقصصها ومناسباتها، وذلك على شكل مسابقات متنوعة في الإذاعة المدرسية.
4. عقد المسابقات الثقافية حول الثقافة الشعبية وبخاصة الأمثال الشعبية؛ وذلك عبر الوسائل الإعلام المختلفة وبرامج الإذاعات المدرسية.
5. المشاركة الفاعلة في المؤتمرات الثقافية المحلية والعربية؛ من خلال تركيز الجامعات ومراكز الأبحاث العلمية على البحث العلمي حول الثقافة الشعبية والأمثال الشعبية، والمشاركة بها في المؤتمرات العلمية محلياً وعربياً.

كانت هذه عبارة عن رؤية مقترحة من الباحث تتضمن الكيفية التي بها قد نتمكن من توظيف الثقافة الشعبية في المحافظة على الهُوية الوطنية اليمنية، وهي عبارة عن رؤية ذاتية لا أقول إنها رؤية علمية قاطعة مانعة؛ بل إنها عبارة عن محاولة أولية تمهيدية قابلة للنقد والتصويب والإضافة والتعديل من قبل الدارسين والباحثين لتصب كل الجهود في خدمة البحث العلمي والحصول على نتائج أكثر دقة وموضوعية؛ على الرغم من نسبية الموضوعية والدقة في العلوم الإنسانية.

الخاتمة: خلص البحث إلى النتائج والتوصيات الآتية:

أولاً: نتائج البحث
- الثقافة الشعبية لها دور هام في الحفاظ على الهُوية الوطنية وتعزيز التلاحم والوحدة الوطنية.
- المثل الشعبي مكون أساسي من مكونات الثقافة الشعبية وجزء لا يتجزأ منها، كما إن إثبات الهوية الوطنية أمر مرتبط بالثقافة الشعبية وليس بالثقافة الرسمية.
- الثقافة الشعبية هي الجذور الأولى التي تغذي الشعور بالانتماء الوطني وتحدد ملامح هويته، والحفاظ على الثقافة الشعبية هو حفاظ على الهوية الوطنية
- انقطاع الصلة بين عناصر الثقافة الشعبية وبين الأجيال يفقد الأجيال هويتهم الأصيلة ويجعلهم بدون أي أساس تاريخي يثبتون به انتماءهم.
- الحفاظ على الثقافة الشعبية وصيانتها بمختلف مكوناتها وعناصرها المادية منها وغير المادية يضمن للهوية الوطنية استمرارها وتجذرها أكثر وأكثر في عمق التاريخ.
- الحفاظ على الثقافة الشعبية ليس مسئولية فرد أو جماعة، بل مسئولية الجميع، وخصوصاً الجهات ذات العلاقة في مؤسسات الدولة.
- الثقافة الشعبية هي الأقدر والأجدر بالحفاظ على الهوية الوطنية من الثقافة النخبوية أو الثقافة الراقية التي لا تمثل إلا شريحة صغيرة في المجتمع.
- الثقافة الشعبية في شكلها غير المادي وتحديداً الأمثال الشعبية لا تجد لها مساحة كافية في المقررات الدراسية على جميع المستويات.
- ضعف اهتمام وسائل الإعلام والمناهج التعليمية بالأمثال الشعبية.
- تواجه الثقافة الشعبية بمختلف أشكالها وعناصرها خطر زحف الثقافات الدخيلة وخصوصاً في ظل التطور المتسارع للتكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي.
- كما توصل البحث إلى وضع تصور مقترح من قبل الباحث تضمن الكيفية التي بها قد نتمكن من توظيف الثقافة الشعبية في الحفاظ على الهُوية الوطنية اليمنية.

ثانياً: توصيات البحث ومقترحاته: خرج البحث بعدد من التوصيات والمقترحات على النحو الآتي:

- دمج مفردات الثقافة الشعبية ضمن مقررات المناهج الدراسية بشكل يتناسب مع المستويات العمرية والمراحل الدراسية.
- تركيز وسائل الإعلام عبر موادها الإعلامية على تقديم كل ما يتفق وتحقيق بناء وتشكيل الشخصية اليمنية والهوية الوطنية، وذلك من خلال إفراد مساحة كافية للثقافة الشعبية بمختلف عناصرها.
- توسيع نطاق منهج التربية الوطنية والثقافة الوطنية ليشمل فصلاً خاصاً بالتراث والثقافة الشعبية.
- دمج شرائح الشباب بمحيطهم الاجتماعي لاكتساب الثقافة الشعبية من كبار السن.
- منح مفردات وعناصر الثقافة الشعبية حقها من التغطية الإعلامية الكافية بما يخدم العمل على إحياء الأمثال الشعبية في برامج الإذاعة المدرسية.
- توجيه اهتمام مؤسسات التعليم العالي والمؤسسات البحثية والمراكز العلمية نحو إعداد المزيد من البحوث والدراسات العلمية حول مواضيع الثقافة الشعبية ومكوناتها، لحفظ الذاكرة الوطنية وتوثيقها في التقنيات الحديثة.

- إثارة المواضيع المتصلة بالهوية الوطنية وعقد الندوات حولها في وسائل الإعلام المختلفة، وكذا وسائل التواصل الاجتماعي.
- تحديد يوم سنوي للثقافة الشعبية اليمنية، وليكن يوم 13/ 9 من كل عام.
- تحديد أسبوع للثقافة الشعبية ويسمى الأسبوع العربي للثقافة الشعبية. ويقام في توقيت زمني موحد في جميع الدول العربية.
- كما توصي هذه الدراسة الجامعات ومراكز الأبحاث العربية بإجراء الدراسات العلمية المكثفة حول الثقافة الشعبية والمخاطر التي تواجهها الهوية العربية في كل قطر عربي.
- عقد مؤتمرات علمية محلية وعربية لعرض نتائج وتوصيات الأبحاث ذات الصلة، بحيث يعقد هذا المؤتمر سنوياً في عاصمة الثقافة العربية وبالتزامن مع بداية فعاليات الأسبوع العربي للثقافة الشعبية والتراث العربي.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب

1. القرآن الكريم، سورة البقرة
2. أفرفار علي. (1996م). *صورة المرأة بين المنظور الديني والشعبي والعلماني*. بيروت. دار الطليعة
3. السيوطي عبد الرحمن جلال الدين. (د. ت). *المزهر في علوم اللغة وأنواعها*. الجزء الأول. (ط مجهول). بيروت.دار الجيل.
4. الفارابي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم.(2003). *ديوان الأدب*. تحقيق د. أحمد مختار عمر. الجزء الأول. القاهرة. مجمع اللغة العربية.

ثانياً: مراجع إلكترونية

5. العبيدي ابراهيم,(د.ت). *مفهوم الهوية الوطنية*. تم استرجاعها في 14/ أبريل / 2021م. الساعة 11:20 مساءً. موقع موضوع. كم. الرابط https://mawdoo3.com/%D9%
6. العبيدي محمد. (د. ت). *أهمية الحفاظ على التراث الثقافي غير المادي في الموصل*. تاريخ قبول النشر 27/ 5/ 2018 الاسترجاع 17 / أبريل / 2021م. الرابط, https://www.iasj.net/iasj/download/11199e8fecec6a64
7. المعوش سالم. (د.ت). *قراءة في الإشكالية والمنهج الثقافة الشعبية العربية بين الهوية والكونية*, مجلة الثقافة الشعبية, فصلية علمية متخصصة. تم استرجاعها في 14/ أبريل / 2021م. الساعة 8:15 مساءً. الرابط, Folkculture.org/ar/index.php?issue=26&page=main
8. بو خريص فوزي.(د.ت). صورة *المرأة في الأمثال الشعبية: المرأة في مؤسسة الزواج كنموذج*. نسخة محفوظة, 11 ديسمبر 2017 تم استرجاعها في 2/ أبريل/ 2021م. الساعة 9:45 مساءً. موقع واي باك مشين. الرابط, https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AB
9. منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو). اتفاقية حماية التراث الثقافي غير المادي.المادة(2). باريس. 17 / أكتوبر 2003م. تم استرجاعها في 12 / 5/ 2021م. الساعة 9:35 مساءً. الرابط https://www.ich.unesco.org/ar/convention
10. هيبي محمد. (2011م). دور *التراث الشعبي في تعزيز الهوية الوطنية*.ورقة عمل, قُدمت في مؤتمر بعنوان «انسجام الرؤية وتكامل العمل», في اليوم الوطني للثقافة الفلسطينية, في الجامعة الأمريكية في جينين يوم الثلاثاء 2011/3/15م , استرجاعها في 18 / أبريل / 2021م. الساعة 5:25 مساءً. الرابط. https://www.dramuhammadhebi.com

ثالثاً: مواقع إلكترونية

11. موقع فولك كالتشر bh. (2019). *الثقافة الشعبية*. مؤرشف من الأصل في 15 ديسمبر 2019م. تم استرجاعها في 16 / أبريل/ 2021م. الساعة 9:40 مساءً. الرابط. *http://www.folkculturebh.org*
12. موقع مقاتل. (د.ت). *ثقافة شعبية*. تم استرجاعها في 5 /مايو / 2021م. الساعة 8:10 مساءً. الرابط http://www.moqatil.com/openshare/Behoth/aMnfsia15/ThaqafaShab/sec01.doc_cvt.htm
13. موقع موضوع.كوم. (د.ت) .*الهوية الوطنية*. تم استرجاعها في 18 / أبريل / 2021م. الساعة 9:25 مساءً. الرابط https://mawdoo3.com/%D9%85%
14. ويكيبيديا. *الهوية*. تم استرجاعها في 11/ أبريل/ 2021م. الساعة 6:40 مساءً. الرابط. http://ar.m.wikipedia.org